شبكة الطريق إلى الله

طريقك نحو معرفة الله

Way2allah.com

اسم المادة: الفتاح - العظيم - اللطيف - العليم

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: اسم الله الفتاح
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151886.htm

الفتاح

إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أَقرب، وعن معصيته أَبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في الحياة مساراتٌ ذات أبواب، والغيب مغاليق لها مفاتيح، والرزق طرقاتٌ ومسالك شتى نبحث عنها في الحياة.

الفتاح اسمٌ من أسماء الله الحسنى التي نستدل بها على طُرقنا في الحياة معشر البشر، اسمع معي بقلبك إلى قول ربك -عز اسمه-: "مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" فاطر:٢.

إنها أبواب الرحمات التي نبحث عنها في الحياة أحوج ما نكون إليها يا بني آدم، نحن لولا رحمة الله ما أصبحنا ولا أمسينا، ولا تَقدَّمنا ولا تأخرنا، برحمة الله نُرزَق اللقمة التي نقتات عليها، برحمة الله تُستجلب أبواب الخيرات والبركات التي نَنشدها، برحمة الله تُدفع عنا الشرور والآفات، تُفرَّج الكربات، وتنجلي المصائب، برحمة الله نحن نستظل بظلالها؛ فنمضي طريقنا في الحياة بلطفه وفضله ومنته.

إنها رحمةُ الله ذاتُ أبواب "مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا" فاطر:٢.

ومن ثَمَّ شُرِع لنا عند إتيان المساجد أن نُسمِّيَ الله، ونصلي على نبيه -صلى الله عليه وسلم-، سائلين الله أن يفتح لنا أبواب رحمته. وإذا خرجنا من المساجد نحو أبواب الرزق والمعاش وابتغاء الفضل، سألنا الله أن يفتح لنا أبواب فضله.

إذًا هو ربنا الفتاح تعالى وتقدَّست أسماؤه -عز وجل-، وتَعظَّم في ذاته وكبريائه.

في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله جاء اسمه الكريم العظيم الجليل: الفتاح.

قال ربنا -سبحانه وتعالى-: "قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ" سبأ:٢٦.

ربنا فتاح، ولأنه فتاحٌ -سبحانه وتعالى-؛ فتح لنا أبواب رحمته، ولأنه فتاحٌ -جلَّ في علاه-؛ فتح لنا أبواب الرزق التي نسعى فيها، وقد نَدَبَنا إلى ابتغاء الفضل بالحلال، والبحث عن الكسب والمعاش، والرزق مفاتيحه بيده -جلَّ في علاه-، يرزق الجنين في بطن أمه، والنملةَ في جُحرها، والحيتان في أعماق البحار، إنه الله الفتاح -جلَّ في علاه-.

يَسلُكُ طلبة العلم أبواب العلم، ويحضرون الحِلَق، ويحفظون، ويدرسون، ويقرأون، تُنشأ صروح العلم ومعاهده وكياناته، وينخرط طلبة العلم يلتهمون أبواب العلم ومسائله، والله –عز وجل– يَهَب العلم ويَقسمه بين أهله كما قسم الأرزاق بين البشر؛ لأنه الله الفتاح –عزَّ في علاه–
.

ربنا –تبارك وتعالى– فتاحٌ؛ فتح أبواب العلم لطلبته وأهله وحَملته، فتح أبواب الرزق للبشر ولعامة خَلقه: إنسًا وجِنًّا، والبهائمَ والسباع، والطيورَ في أوكارها، والحشرات، والديدان، والحيتان.

لأنه الله الفتاح –سبحانه وتعالى–؛ فإنه يفتح أبواب النصر لأهل الإيمان على أعدائهم، ويُنزل عليهم من الجنود ما لم يروا، ويسَّخر لهم من خَلقه ما شاء –سبحانه وتعالى–، "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" المدثر:٣١، "إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ" آل عمران:١٦٠، وفي قوله سبحانه: "ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ" سبأ:٢٦، يعني بين أهل الإيمان وأعدائهم، والفتح ها هنا من معانيه: النصر الذي يفتح الله أبوابه.

أيا أهل الإيمان، الغيبُ ركنٌ في عقيدتنا نؤمن به، والغيب قُفلٌ مُغلقٌ، والله –عز وجل– استأثر بمفاتيحه فقال: "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ" الأنعام:٥٩، يُطْلع مَن شاء على ما شاء من علم الغيب، قال سبحانه: "عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ" الجن٢٦:٢٧.

إنه الله الفتاح؛ ارفع رأسك للسماء، أو ضَع جبهتك في السجود، طالبًا من ربك الفتاح أن يفتح لك ما شاء من خزائن مُلكه، وما آتى ما شاء من عباده، فَتَح أبواب المُلك لمن شاء، وفتح أبواب العز والجاه لمن شاء، فتح أبواب الرزق لمن شاء، فتح أبواب العلم لمن شاء، إنه الله الفتاح.

إذا ما واجهت في حياتك مُلِمّةً، وضاقت بك الأبواب وأُغلقت دونك، وانقطعت بك الأسباب؛ ثمّة بابٌ مفتوحٌ هو باب السماء، ما عليك إلا أن ترفع يديك إلى الفتاح؛ ليفتح لك أبواب الفرج، ثم انظر كيف تعيش بعدها في غاية الفرج، واليسر، والرحمة، والرأفة التي يكتبها الله لمن شاء؛ لأنه الله الفتاح.

أحبتي الكرام، أسماء الله في عظمتها، في اجتماعها وانفرادها، تُضفي على القلوب المؤمنة عزًّا بربها، وافتقارًا إلى خالقها، ولجوءً واضطرارًا صادقًا تَشعر معه أنها لا غنى لها عن ربها.

وفي اسمه –تبارك وتعالى– الفتاح ما يحملنا على أن نؤمن أن كل أبواب الحياة أنَّى اتجهنا لا يفتحها إلا الله، وأنه مهما سلكنا في دروب الحياة فلن نصل إلى مبتغانا إلا بإذن ربنا الفتاح، وأنه لن يَفتح لنا أبواب الآخرة برحمته لدخول جنةٍ عرضها السماوات والأرض، فنأنس بعيشةٍ هنيةٍ طيبةٍ راضية في جنةٍ عالية، إلا بإذنه؛ لأنه الله الفتاح.

فآلت أمور دنيانا وأُخرانا في فَتْح أبوابها ومغاليقها، وفي الوصول إلى مبتغانا إلى يدي ربنا الكريم الفتاح؛ فأَحضِروا قلوبكم بين يديه، وارفعوا دعواتكم إليه، وتوجهوا بصادقِ القلوبِ الخالصةِ المطمئنة أن يفتح لكم ما يشاء –سبحانه وتعالى–.

إنه الرَّب العظيم، الكريم، العليم، القادر، والقوي القاهر، عالم الغيب والسر والنجوى، "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، إنه الفتاح الذي فتح أبواب الدنيا بالحياة، وفتح أبواب الآخرة للحساب، فتح أبواب الجنة لسعادةٍ لا شقاء بعدها أبدًا، فتح لنا أبواب فضله ورحمته ونحن في أكنافها نعيش.

برحمته –عز وجل– نُمضي دنيانا، وبرحمته نصل في الآخرة إلى مبتغانا؛ فربنا الفتاح –سبحانه وتعالى– لا نُحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه المصطفى محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

العظيم

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلم شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ سبحانك ربنا ما أعظمك، عظمة الله –جل جلاله– واحدة من بحور معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، في جوف العظمة الإلهية نعيش معظم أسماء الله الحسنى، فإنه –عز اسمه– عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في أفعاله، عظيم في خلقه وآياته، تبارك ربنا وتعالى، ربنا عظيم ولعظمته تخضع الجباه وتنحني الظهور وتوضع في الأرض الجباه، لأنه العظيم –سبحانه وتعالى–.

في تسعة مواضع من كتاب الله الكريم جاء اسمه –عز وجل– العظيم، ربنا عظيم وعظمته تتجاوز حدود العقل فلا تدركه الأبصار لأنه عظيم –سبحانه وتعالى–؛ فهو واسع وهو كبير وهو متعال. لأنه عظيم؛ فإننا معشر الخلق ندوي في ذلنا وخضوعنا وانكسارنا لعظمة ربنا –عز وجل–، تعظيمنا لربنا العظيم يحتاج أن تمتلئ فيه الصدور بعظمة الله –جل جلاله–.

جاءت نصوص الكتاب والسنة التي تفيض على القلوب البشرية معاني عظمة الله –جل في علاه–، وجاء اسمه العظيم –سبحانه وتعالى– تأكيدًا على هذا المعنى الكبير، فالله –عز وجل– عظيم الذات، عظيم الأسماء والصفات.

تصفحوا رعاكم الله طرفًا من أسمائه الحسنى لتتلمسوا فيها معاني العظمة من كل الوجوه، وتلمسوا بحث النظر في آيات الكون التي لفتت الشريعة الأبصار إليها لننظر فيها عظمة الله –عز وجل–. يشير القرآن إلى عظمة خلق السماوات، وخلق الأرض، وما بث فيها من دواب، وقدرة الله –عز وجل– التي لا يبلغ أن يصل إلى عشر معشارها كل قدرات البشر، فيقول بعدها سبحانه "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ" لقمان:١١، أن تمتلئ صدورنا تعظيمًا لربنا، معناها أن ندرك تمامًا غاية عجزنا وذلنا وقصورنا، نعم تمامًا هذا هو الشطر المكمل لمعاني التعظيم في قلوب البشر، أن ندرك بإزاء عظمة الله؛ احتقار الذوات، وبمقابل غنى الله؛ فقر الخلق، وبمقابل قدرته وعزه وغناه؛ تمام الذل والفقر والحاجة التي خلق الله عليها البشر.

هذا دعاء سيد الاستغفار الذي علمناه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لنبلغ به عند ربنا نيل المغفرة من أوسع أبوابها، لندخل الجنة في قلوب مؤمنة تنطق بتلك العبارات، إنها تحمل عظمة الله في مقابل احتقار الذات، "اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ"[1]، ما طلب المغفرة إلا في آخر جملة بعد أن تقطر القلب اعترافًا بعظمته –سبحانه–، واعترافًا بالعجز والذل والنقص الذي يكون عليه ابن آدم.

أحبتي الكرام إن لعظمة الله –عز وجل– دلالات عظيمة وعليها شرعت معاني العبادة، أرأيتم إلى صلاتنا ونحن نحني فيها الظهور والأصلاب تعظيمًا لله، يقول –عليه الصلاة والسلام– ".. أمَّا الرُّكوعُ فعَظِّموا فيه الرَّبَّ .."[2] ثم نضع الجباه في موضوع الأقدام تعظيمًا لله، ونسبح الله، نحن في كل ركن من أركان العبادات نعلن تعظيمنا لله، إذ نصوم ونتصدق ونحج ونطوف ونسعى، فإنما نفعل ذلك اعترافات بعظمة الله. لكل

١ صحيح البخاري

٢ صحيح ابن حبان

عبادة أركانها وشروطها وواجباتها، نلتزم بها تعظيمًا لخالقنا ومولانا، إن من أجمل ثمرات تعظيمنا لله وظلالها التي تغشانا في الحياة أن نعيش في تمام الذي يوصلنا إلى عتبات العبودية الحقة لله. أجل فمهما بلغ بعض البشر من جوانب العظمة التي يعظم بها بعض البشر لبشر، عظمة ملك، وعظمة جاه أو سلطان، عظمة مال أو مناصب، عظمة علم وسعة، كل ذلك لا يزال يعتبر نسبيًا وجزئيًا، إلا أن العظمة المطلقة لله –عز اسمه سبحانه وتعالى–، نعترف له بها ونبوء لربنا بهذا الاعتراف، نلتمس من واسع فضله، أن تعظم الله –عبد الله– فإنك تلتمس واسع فضله وكرمه، فإن تعظم الله لأنك تأوي إلى ركن شديد، أنت تعظم الله لأنك تبحث عن مكامن العز ومواطن الأمان في الحياة ربك العظيم.

أرأيت إلى عظمة الله في خلقه أرضًا وسماءً وجبالًا وأودية وسهولًا ومهادًا، كل ذلك طرف من عظمة الله في خلقه، فكيف لك بالخالق؟ عظمة الله –عز وجل– التي أشارت إليها آية الكرسي في قوله سبحانه "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا" البقرة:٢٥٥

أرأيت السماوات السبع على اتساعها والأفلاك وبروجها؟ أرأيت إلى الأرض وكيف اتساعها وانتشار البشر على ظهرها؟ ثبت في الحديث أنه "ما السَّماواتُ السَّبعُ والأرَضينُ السَّبعُ عندَ الكُرسِيِّ إلا كحَلقَةٍ مُلقاةٍ في أرضِ فلاةٍ"[3] يا الله ما أعظم الله! سبحانك ربنا ما أعظمك! والله إنها لتملأ الصدور المؤمنة تعظيمًا لربها وإذعانًا بعظمته، إذعانًا واعترافًا يفضي إلى إقبال صادق على الله، والتزام بطريق العبودية التي أمرنا بها الله –عز وجل– فإذا بنا أقرب إلى ربنا وأسرع إلى مرضاته وأقرب عودة وإنابة وأوبة في كل ذلة أو خطيئة أو نقص يعترينا معشر البشر، فليس أحدنا بمعصوم.

هو ربنا –سبحانه وتعالى– نعظمه بألسنتنا فنسبحه ونملأه حمدًا يملأ أركان عرشه –سبحانه وتعالى–، ونحن مازلنا نعترف بعظمته إن أذنبنا وأخطأنا، وإن أصلحنا وتبنا وأنبنا، فالله عظيم يستحق التعظيم، وحياتنا تقوم في عبوديتنا على صدق تعظيمنا لربنا، أصدقنا عبودية لله أكثرنا اعترافًا بعظمة الله وإذعانا له –عز في علاه–.

سبحان ربك العظيم "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" الواقعة:٧٤، وقال في ختام أعظم آية في كتاب الله "وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" البقرة:٢٥٥، فاللهم املأ صدورنا بتعظيمك وإجلالك كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك والسلام عليكم ورحمة الله.

---

٣ أخرجه ابن حبان

اللطيف

إن معرفة أسماء الله -تعالى- وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض.

فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أَقرب، وعن معصيته أَبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مهما قلَّبنا النظر في أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا؛ من أجل أن نُفيض على القلوب أُنسًا بربها، ومعرفةً بخالقها، وقربًا من مولاها، فلا نكاد نجد ألطف من اسمه -سبحانه وتعالى- اللطيف.

عجيبٌ هذا الاسم من بين أسماء الله، وكل أسماء الله حسنى.

اللطيف سبحانه الذي دقَّ علمه بكل الخفايا، فعَلِم السر وأخفى، إنْ كان السر لا يسمعه إلا مَن يُحدِّثه ويُحدِّث به، فمَن الذي يَعلم ما أَخفى من السر؟ وما هو الأخفى منه؟ ربنا سبحانه وحده الذي يَعلم ذلك.

وتأملوا معي قوله -عزَّ اسمه- في سورة الملك: "وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك١٣:١٤.

إذًا هذا هو الذي يَبلغ في السر أَبلغ من السر والخفاء فيه، هو حديث النفس، وربنا سبحانه بلطفه مُطَّلعٌ على خفايا الصدور، ومكنونات النفوس.

يا قوم، إن لنا ربًّا عظيمًا لطيفًا، بلغ في علمه ولطفه أن يَعلَم الدقائق والخفايا، وما تحت الأرض من البذور، وما في خفايا الصدور، وما نُعلن، وما نُسِر، وما نجهر، أَسِروا أو اجهروا؛ فربكم لطيفٌ خبير.

ربنا اللطيف سبحانه يَسُوق بلطفه من إحسانه بخَلقه ما يغيب عن مُخَيّلاتهم ومن تقديراتهم ومن سعيهم لأنفسهم، أجل، أرأيتَ أحدَنا كيف يحرص على رعاية مَن تحت يده من زوجةٍ أو والدين أو أولاد؟ فإنه يُرتب لهم، ويُحسن إليهم، ويسعى في قضاء حوائجهم ألَّا تَبلغ بهم حاجةٌ ولا ينقطع بهم سبيل، هذا شأن مخلوقٍ يُحسن إلى مخلوقٍ مثله، فكيف بإحسان الخالق إلى خَلقه!

إنَّ إحسان اللطيف -سبحانه وتعالى- يقتضي أن يُوصِل إلينا ما حضر في أذهاننا وما غاب عنها، وما غاب عنها أكثر.

لُطف ربنا اللطيف -جل في علاه- يَبلغ بنا من النعم والأرزاق، والخيرات والبركات، ودفع الشرور والكُرُبات والآفات، ما حضر في أذهاننا وما استذكرناه، وما غاب عنا، وما غاب أكثر؛ لأنه اللطيف -سبحانه وتعالى-.

ليس المريض على فراش المرض، ولا الميّت الذي يحتضر بأحوج إلى لطف الله من الصحيح القوي الغني المُكتسِب، كلنا والله سواء في حاجتنا إلى لطفه -عز وجل-، لطفه الذي يسوق إلينا أرزاقنا ونحن على الفُرُش نيام، ويَدفع عنا الشرور والآفات والمصائب والكُرُبات ونحن عنها غافلون، لكن الخالق -سبحانه وتعالى- الذي يَعلم كل شيءٍ في هذا الكون لطيفٌ -سبحانه وتعالى-.

في قصة يوسف -عليه السلام- جانبٌ من لطف الله -عز وجل- التي أَوجزها هذا النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم -عليه وعلى آبائه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم-:

في ختام القصة بعد أحداثٍ طوال، وسنواتٍ متتابعات، كان فيها كيدٌ ومكر، فيها إلقاءٌ في الجُب، وبيعٌ بأبخس الأثمان، ثم فتنةٌ في قصر العزيز، ومؤامرةٌ وكيد نساء، ثم سجنٌ وظلمٌ وجَور، ثم عِزٌّ ومُلك وسلطان، ثم كلمةٌ ورفعةٌ وشأن، ثم اجتماع شمل ومِنةٌ كريمةٌ باجتماع الوالدين والإخوة في ذلك المقام، وقد تحقق ليوسف –عليه السلام– غاية العز والرفعة والعظمة التي كتبها الله له مع النبوة –عليه السلام–؛ قال ما أوجزته الآية الكريمة: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ" يوسف:١٠٠

إن حياتنا كلها والله أحبتي بمآسيها، بأفراحها وأتراحها، بأحزانها وسرورها، بكل ما فيها من أحداثٍ ووقائع في طفولتنا وصبانا، في نشأتنا وشبابنا، في كهولتنا وشيبتنا، والله إنا لَنتقلب فيها في أكناف لطف الله –عز وجل–.

"إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ" يوسف:١٠٠، أوجز –عليه السلام– واختصر، فأَبْلغ أن ما عاشه من أحداثٍ تنقلت به مواقع الحياة من جُبِّ البئر إلى عرش السلطان، ومن فراقٍ للأسرة إلى اجتماع شملٍ وسجودٍ بين يديه احترامًا وتقديرًا، كل ذلك كان من لطف الله.

هلّا أدركنا يا كرام أنه ربما عِشنا مرحلةً من مراحل الحياة وموقعًا من مواقعها فيها أسى، وفيها حزنٌ، وفيها مرضٌ وكرب، وربما كان موتًا وفقدًا، فهل شعرنا في تلك اللحظات أننا تحت كنف الله اللطيف؟ وأن لطفه يقتضي أن تمتلئ الصدور استئناسًا وترويحًا؛ فتنفرج الهموم، وتتبدد الأحزان.

ما عشنا حياةً تُحقِّق فيها الآمال في كل ناحيةٍ من نواحي الحياة، هي هكذا سَعدٌ وشقاء، أُنسٌ وغَم، ونتقلب في مراحلها، لكن متى استشعرنا لطف الله –عز وجل–؛ عشنا حياةً مِلؤُها السكينة وانشراح الصدور والرضا عن ربٍّ كريمٍ عظيمٍ عليم يُقدِّر ما يحتاج إليه العبد وما يَصلُحه ويَصلُح له في حاله ومآله.

"إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ" يوسف:١٠٠، "وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الأنعام:١٠٣، سبحانه ما ألطفه، لُطفه بنا ونحن أَجِنَّةٌ في أرحام الأمهات، ونحن أطفالٌ نَربُو في المِهاد، ونحن نَشُبُّ في دروب الحياة، ونحن نشقُّ طرقها ونكدح ونسعى لإيجاد بابٍ وفرصةٍ وكسبٍ ومعاش، ونحن نحقق الصعاب ونتوالى على دروب النجاحات والإنجاز، "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ" يوسف:١٠٠.

هو لطف الله الذي يأسرنا خوفًا، ويأسرنا تعظيمًا لربنا ورجوعًا إليه، فلُطف اللطيف يُطْلِعه سبحانه على ما نُخفيه ونستتر به، وما نستتر به عن أعين الناس، لطف اللطيف لا يغيب عنه شيءٌ، ولا تَخفى عليه خافية، السر وأَخفى، الجهر والإعلان والإسرار، كله في علم اللطيف الخبير سواء.

فعَظِّموا قلوبَكم تعظيمًا لربكم اللطيف –جل في علاه–، واجعلوا منها مُنفتحًا لأبوابٍ في الحياة تأْنَس بعيشها في كنف اللطيف الخبير.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

العليم

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلم شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أسعد الله أوقاتكم بطاعته.
في طيات البحث عن عظمة جلال الله –سبحانه وتعالى– وتلمسها في أسمائه الحسنى وصفاته العُلى، يدهشنا اسمٌ عظيمٌ ذو صفةٍ جليلة عظيمة تقشعر لها الأبدان، صفة العلم واسم الله "العليم" –سبحانه وتعالى–، أحد أعظم أسماء الله وأكثرها ورودًا في كتاب الله الكريم، في نحو مئةٍ وسبعةٍ وخمسين موضعًا جاء اسم الله –جل جلاله– العليم –سبحانه وتعالى–، فضلاً عن تلك الآيات التي تحدثت عن علم الله، والأفعال التي تدل على عظمة علم الله –سبحانه وتعالى–. ربنا العليم الحكيم، العليم الخبير، العليم الذي وسع علمه كل شيءٍ –سبحانه وتعالى–.

عِلم الله –جل جلاله– واحدةٌ من الصفات التي تحملنا معشر العباد على مزيدٍ من الإذعان والخضوع والانكسار والخشوع والإخبات لربنا العظيم العليم –سبحانه وتعالى–. أجل؛ علم الله بلغ أعظم مما يتصوره البشر أو تدركه عقولهم، أو ما نقرأ في كتاب الله الكريم "إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ" الأعلى:٧، فالجهر والإسرار في علم الله سواء، لا بل علم الله –عز وجل– ينال أبعد من الخفاء والإسرار، وربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" طه:٧، إن الذي أخفى من السر هو حديث النفس، هو الهمهمة، هو همسها، هو شجونها، خواطرنا، ربنا –عز وجل– يعلمها، لأنه العليم –جل في علاه–.
بلغ علم ربنا –سبحانه وتعالى– مبلغًا لا يمكن أن تدركه عقول البشر ولو اجتهدت في تصور مداه، ومن أجل ذلك كانت تلك الآيات التي تقرب لنا شيئًا من معنى عظمة علم الله –سبحانه وتعالى–، افتح أذنيك، عفوًا، افتح أبواب قلبك وأنت تسمع قول ربك –سبحانه وتعالى–: "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" الأنعام:٥٩، تعالى الله –سبحانه وتعالى–.
علم الله –عز وجل– صفةٌ توجب عظمة العليم –سبحانه–، سمى نفسه العليم وهو علّام الغيوب، وأحد جوانب عظمة علم الله؛ علمه بالغيب الذي تخفى عنا حجوبه ولا تدركه العقول والأبصار وسائر الحواس، عَلِم –سبحانه وتعالى– خلقه قبل أن يخلقهم، وعلِم ما هم عليه بعد خلقهم، ويعلم مصائرهم وأحوالهم ومآلات شؤونهم بعد مماتهم، يعلم –سبحانه وتعالى– ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وعلم –سبحانه وتعالى– ما لم يكن أن لو كان كيف سيكون تعالى الله –سبحانه وتعالى–.
أيها الكرام لعظمة علم الله –جل جلاله–، ولعظمة اسمه العليم –سبحانه وتعالى– فإنه –عز وجل– أعلى شأن العلم بين عباده ورفع قدره وخص أهله بكثيرٍ من الخصائص والعطايا والمناقب والهبات. وما عِلم البشر مجتمعًا منذ أن خلق الله آدم –عليه السلام– إلى قيام الساعة إلا كذرةٍ في هباء، قال الله –سبحانه–: "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" الإسراء:٨٥، وفي صحيح البخاري لما صعد موسى –عليه السلام– مع الخضر على ظهر السفينة رأيا عصفورًا على سطح البحر فنقر نقرةً أو نقرتين، قال الخضر لموسى –عليه السلام–: أرأيت علمي وعلمك فإنه ما نقص من علم الله إلا كما نقص ماء البحر من نقرة هذا العصفور.
لا تُجهد نفسك لن يبلغ تصورك ولا فكرك ولا خيالك سعة علم الله –عز وجل–، "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" طه:١١٠، إذا ما امتلأت الصدور أيها الكرام بعظيم علم الله –سبحانه وتعالى–، فإنه يورثنا ذلك إذعانًا وإخباتًا، يقيننا بعظيم علم الله بذواتنا، بأحوالنا، بحركاتنا، وسكناتنا،

بأقوالنا، وأفعالنا، يأسر قلوبنا والله عبوديةً لربنا العليم –جل جلاله–، فإذا نحن مقبلون على ربٍ أعلم بنا من أنفسنا، وأعلم بسرائرنا ودواخلنا، بل هو –سبحانه– أعلم بحاجاتنا، وهذا من عجيب جوانب علم الله، ألست تدعو الله تسأله حاجتك؟ فربك أعلم بك منك بحاجتك، وأعلم بمقصدك من مطالبك، فإذا به يكتب لك خلاف ما طلبت وسألت ودعوت، لأنه يعلم مرادك ومقصدك ومطلبك الذي من أجله سألت، ثم إنّ علمنا أيها الكرام بعظمة علم الله في خلقه وكونه وتدبيره وعظمته في مخلوقاته يحملنا أيضًا على مزيدٍ من الافتقار إلى الله، والإيمان بأنه وحده –جل جلاله– لعلمه الذي أحاط بكل شيء هو الذي ينبغي أن يُعبد، وأن تخضع له القلوب، وأن تذل له العباد، وأن يعلم الجميع أن لنا ربًا عظيمًا عليمًا –جل في علاه–، علمه لا يدان، وتقديره وتدبيره –سبحانه وتعالى– كفيلٌ بتحقيق مصالح العباد ومرادهم.

عظِّمُوا ربكم يا كرام بعظمة أسمائه وصفاته، وعَظِّموه بعلمه جل جلاله، علمه الذي أحاط بكل شيء، و "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" البقرة:٢٥٥، عَلِم شأن الخلق، وعَلِم حوائجهم، وعَلِم مصائرهم، وعَلِم مواقعهم في الآخرة، فريق في الجنة وفريقٌ في السعير، فافزع إلى ربك الكريم، واطرق باب ربك العليم، وتوسل إليه –سبحانه وتعالى– بعلمه وقدرته، وبعظمته وحكمته أن يكفيك ما أهمك، وأن يرزقك ما تتمنى وفوق ما تتمنى، ولن تجد نفسك أكثر غنىً وأنت ملتجئٌ بباب ربك الكريم – سبحانه وتعالى–، ولن تجد نفسك إلا وأنت أكثر غنىً عند التجائك بباب الكريم وتوسلك باسمه العظيم العليم – سبحانه وتعالى–، تعالى الله جل جلاله، سبحانك ربنا ما أعلمك لا نحيط بعلمك وقد أحصيت كل شيءٍ عددًا، سبحان من علّم وقدر ورزق وخلق وهدى، وصلِّ يا رب وسلم على النبي المصطفى محمدٍ وآله وصحبه وسلم.